عبدة الشيطان

أو

اليزيدية

سيدى محرر « العصور » الفاضل

وقفت على ما نشره الأستاذ المحترم « عمر عنايت » فى الجزء الـ ١٩ من مجلتكم الزاهية عن (اليزيدية — عبدة الشيطان) فوجدت فيه بعض الهنات التى لا تغتفر لا سيما و « العصور » مجلة راقية كثيراً ماخدمت الحقائق من طريق نشر الردود الكثيرة والخوض فى المواضيع الهامة . وبما أننى قضيت مدة طويلة من الزمن أتجول فى ربوع هذه الطائفة ووقفت على مسائل وأمور دقيقة قد لا يتيسر لكل أحد معرفتها ؟ رأيت أن أزف الى قراء مجلتكم المقال الآتى . آملا أن يجد مغرساً فى جنان « العصور » اليانعة خدمة للحقيقة والتاريخ وتوضيحاً للأبهام والغموض . خصوصاً وقد كتب جماعة من المستشرقين بحوثاً مختلفة فى هذا الموضوع تباينت نتائجها تبايناً جعل دارس تاريخ هذه الطائفة غير مؤمن بما وصلت اليه يد البحث والتنقيب .

هذا ولابد من أن أعرض على حضرتكم أن معظم هذه الكتابة مبنية على مشاهداتى واختباراتى الشخصية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ودونكم المقال : —

— توطئة —

لا ينكر أن للوسط الطبيعي والهيئة الاجتماعية تأثيراً على عقلية البشر وتفكيره وشعوره . فالبشر يستشعر من الوسط الطبيعى بأفكاره عن الكون والحياة ، ومايختلف من الآراء والأفكار ، إنما هو نتيجة الثقافات المختلفة والتوريث القومى . لذا نجد الأمم تختلف فى تفهم الكون وتحديد مبدئه ونهايته اختلافاً يتناسب والبيئة التى يعيش فيها كل قبيل منها . وبحسب ما يتصوره البشر ويفهمه من الظواهر الكونية ويعللها به

يصور فكرته في الخالق ونسبته اليه . فاختلاف الأديان إذن أمر مسبب عن اختلاف مدارك البشر وأذواقهم .

ولم تكن الأديان في بدء تكونها لتختلف اختلافها الآن ، لأن سلالات البشر الأولى لم تكن قد اختلفت في عاداتها وتقاليدها اختلافاً كلياً ، ولم تكن اللغة بهذا النوع من السعة والاحاطة . حتى تتباين العقائد تباينها الحالي . وذلك لأن اللغة أكبر واسطة في التعبير والافصاح عما يختلج في ضمير الانسان لدى تأثره بالمظاهر الكونية . أما بعد أن توسعت اللغات وتباينت العادات والتقاليد فقد أصبحت الأديان — وهي مبنية على هذين الأساسين — تختلف اختلافاً عظيماً وابتدأت تنسب إلى مذاهب وطرق تشعب البشر إلى قبائل وطوائف !

فالأمة التي دخلت معترك الحياة وتنازعت أسباب الوجود ، دخل دينها بين العوامل الاجتماعية وسجله التاريخ وعرف شكله واسمه . اما الأمة التي اعتزلت ميدان الحياة وتجنبت طرق التزاحم فقد أصبحت مجهولة لا يكاد يقف التاريخ على شيء من عقائدها ولا تكاد يد البحث تصل الى تفهم دينها ، الا بأن تختلس بعض المعلومات اختلاساً .

— اليزيدية —

واليزيدية — أو عبدة الشيطان — احدى تلك الطوائف التي تكتمت في اظهار عقائدها تكتماً شديداً يعيي المؤرخ ان يعطي عنه نتيجة قطعية او ان يصوره تصويراً نهائياً فبينما نرى جماعة من الكتاب ينسبون اهل اليزيدية الى (يزيد بن معاوية الاموي) ، انجد الى جانبهم فريقاً آخر يرجع اصلهم الى دين آري ويرى ان كلمة اليزيدية مشتقة من (لفظة يزدآن التي تعني — الله — في اللغة الفارسية) . وفي الوقت الذي يقوم فيه البعض فيدعي أن هذه الكلمة مشتقة من لفظة (يزد ، احدى مدن فارس الشهيرة) يقوم الى جانبه فريق آخر فينسب الطائفة الى (يزيد بن انيسة الخارجي) وهكذا دواليك

— معتقدي الشخصي —

اما انا — وقد سبق ان تجولت كثيراً بين ربوع هذه الطائفة في لواء الموصل واطلعت على بعض كتبهم المقدسة وشاهدت بأم عيني كثيراً من عاداتهم وطقوسهم

وطالعت ما كتبه المستشرقون وغيرهم عنهم ، فأرى ان اهل اليزيدية من عشيرة كردية كانت تتصل بـ (المجوس) بصلة المذهب والدين . فلما افل نجم المجوس ، تمسك افراد هذه العشيرة بمذهبهم ومبادئهم حتى اذا نبغ بينهم بعض الرجال العظام ، نظموا شؤونها الدينية ولفقوا عقائدها فى مختلف الاديان وأوجدوا المذهب اليزيدى الذى نحن بصدده الآن . اما ما يشاهد اليوم عندهم من مظاهر الديانة الأسلامية كالصوم والصلاة فانما يعملون ذلك تقية لمجاوريهم من المسلمين لا تديناً

—مؤسس الطائفة اليزيدية—

مما لا اشكال فيه ان الذى اوجد الطائفة اليزيدية هو الشيخ عدى بن مسافر . وقد اختلف المؤرخون فى أصل هذا الرجل اختلافاً بيناً . وقد رأيت ان آتى على خلاصات لافكار وآراء ، الباحثين فى هذا الصدد —

(١) فقد ترجم « ابن خلكان » هذا الرجل فقال: « الشيخ عدى بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم بن مروان ـ كذا املى نسبه بعض ذوى قرابته ـ الهكارى مسكناً ، العبد الصالح المشهور الذى تنتسب اليه الطائفة العدوية . سار ذكره فى الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد ، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون اليها وذخيرتهم فى الآخرة التي يعولون عليها . وكان قد صحب جماعة من المشايخ منهم عبد القادر الجيلى ثم انقطع إلى جبل الهكارية فى أعمال الموصل وبنى له هناك زاوية ومال اليه أهل النواحى كلها بما لم يسمع لارباب الزوايا مثله . وكان مولده فى قرية يقال لها بيت فار ، من أعمال بعلبك و البيت الذى ولد فيه يزار الى الآن وتوفى سنة ٥٥٧ فى بلده بالهكارية ودفن بزاويته رحمه الله ، وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة وحفدته إلى الآن بموضعه يقيمون شعائره ويقتفون أثاره ، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ فى جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة » انتهى بحرفه

٢— وقد ورد فى مقدمة لكتاب الجلوة — إحدى كتب الزبدية المقدسة — نبذة عن الشيخ عدى خلاصتها ان (فى زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هاجرية (كذا) كان المنصور الحلاج والشيخ عبد القادر الكيلانى . فى ذلك الوقت وظهر أنسان اسمه الشيخ عدى من جبال الحكارية (كذا) أصله من أطراف حلب أو من بعلبك ، جاء وسكن

جبل لاتس قريب من مدينة الموصل نحو تسع ساعات، والبعض قالوا انه من أهل حران ونسبه الى مروان بن الحكم فان شرف الدين أبا الفضائل عادى بن مسافر بن اسماعيل ابن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، وكانت وفاته سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هاجرية (كذا) وقبره يزار الآن قرب قريته «باعدرى» من قرى الموصل تبعد عنها احدى عشرة ساعة، واليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين عند الشيخ عادى المذكور والبعض منهم ينسبون إلى يزيد والبعض منهم الى حسن البصرى)

٣ــ وصادفت أحد القوالين ــ فى رؤساء اليزيدية ــ فقص على تاريخ الشيخ عدى قائلا (ولد الشيخ عدى بن مسافر أمام الزيد يقبالشام وبعدان شب، توجه إلى جوار بعشيقا ــ قرية بالموصل ــ باحثا عن أرض يسكنها فلما وجدها صغيرة، رحل عنها إلى جوار بحزانى ــ من قرى الموصل ــ فلم ترقه هذه أيضاً فتركها وجاء قرية بوزان ــ أحدى قرى لواء الموصل ــ وهى بجوار قرية القوتى ــ فمكث فيها أربعين يوما ثم هجرها وجاء إلى محل بجوار قرية باعذرى ــ من قرى الموصل ــ فوجد هناك محلا خاويا للنصارى فسكنه وكان فيه بئر ماء غزير فكانت باعذرى ــ مسكنه الاخير ومدفنه .

٤ــ وجاء فى مخطوطة كلدانية قديمة كتبت عام ١٤٥٢ م . بقلم الراهب النسطورى رامیشوع. أن مقام الشيخ عدى الحالى الكائن فى عين سفنى ، كان ديرا للنصارى اسسه الراهبان يوحنا ويشوعسيران فى القرن السابع للميلاد وكان مسافر الكردى والد الشيخ عدى راعيا لأغنام هذا الدير، فلما توفى خلفه ولده فى رعاية هذه الأغنام . ثم حدث ان تغلب عدى على رهبان الدير المذكور واغتصبه منهم . فلما عاد رئيس الدير من حجته فى بيت المقدس وشاهد مافعل عدى بالرهبان رفع ظلامته إلى قائد قوات المغول وكان اذ ذاك فى خراسان فجهز الاخير معه جيشا استرد دير الرهبان وقتل عدى به ساعد ١٢٢٣م . ولكن بعد مضى مدة فى الزمن عاد أولاد وحفدة الشيخ عدى واغتصبوا الدير مرة ثانية .اه

٥ ــ ويرى العلامة أحمد تيمور فى رسالته (اليزيدية : نشأتهم ونحلتهم) أن ماجاء فى المخطوطة الكلدانية السالفة الذكر أسطورة فحسب وهو يجزم بأن الشيخ

عدى بن مسافر أحد متصوفة زمنه ومعتقديهم . ولهذا فهو يرجع أصل هذه الطائفة الى الصوفية ويرى انهم من غلاتهم ومازالوا يتمادون فى الغى حتى باينوا جميع الفرق الاسلامية وخرجوا من الاسلام بالمرة

رأيى فى الشيخ عدى

اثبت فيما تقدم الروايات المتباينة لأقول كلمتى فى هذا الصدد . ففى الرواية الثانية المقتبسة من كتاب « الجلوة » شىء من الصحة . ولكن جهل اليزيديين بالتاريخ وخلطهم بين الأزمان وسوء تعبيرهم ، كل ذلك جعلها مشوهة تشويهاً افقدها قيمتها .

أما ماجاء فى المخطوطة الكلدانية ، ففى ذلك نظر . اذ كيف يعقل أن يكون الشيخ عدى — الذى أجمع المؤرخون بما فيهم ابن الوردى والمقريزى وابن الفرات وابو الفداء وابن الاثير — راعي اغنام أو قاطع طريق ؟؟ ويلوح لى — حسب تتبعاتى — أن الشيخ عدى الذى احتل دير الرهبان حسب ماجاء فى المخطوطة الكلدانية — على تقدير صحتها — هو غير الشيخ عدى الذى اتى من بيت فار ببعلبك وسكن جبال الهكارية بالموصل . لأن الأول كردى تيراهى قتل عام ١٢٢٣ م . كما جاء فى هذه المخطوطة . أما الثانى فعربى مات عام ١١٦٠ . والبون بين الوفاتين شاسع .

نعم يجوز أن يكون الشيخ عدى « الأموى » قد اتخذ زاويته ومقامه فى موقع مقام الشيخ عدى « الكردى » الذى احتل الدير ودفن فيه بعد مقتله . لأن نسق البناء المدفون فيه الآن الشيخ عدى — وهو الذى تحج اليه اليزيدية فى مواسمها المخصوصة — كنسق الاديرة المسيحية الباقية . وأن كتابات ورسائل كلدانية كثيرة لا تزال منقوشة على جدران هذا المقام مما يدل على احتمال اتخاذ الشيخ عدى الأموى زاويته فى مقام الشيخ عدى الكردى المدفون فى دير الرهبان .

اما مايراه العلامة احمد تيمور من أن الشيخ عدى من متصوفة زمنه فلا أستطيع أن اناقشه فيه . غير أن ارجاعه أصل الطائفة الى الصوفية فيه اشكال . اذ كيف نستطيع أن نوفق بين ذلك وبين سجود اليزيدية للشمس صباح كل يوم ومسائه مع تقديسهم النار والنور ، وهذه كلها عقائد مجوسية بحتة ؟؟ . أن الذى تحقق عندى حتى الآن واستطيع أن أجزم به : هو أن أصل اليزيدية من قبيلة كردية اسمها « ترهايا » كانت تتصل

بالمجوس بصلة المذهب والدين فلما بدأ نجم المجوس يتضاءل تمسكت هذه القبيلة بمذهبها حتى اذا نبغ فيها بعض الرجال ، لفقوا عقائدهم فى مختلف الأديان واضافوا ذلك الى العقائد المجوسية وأوجدوا المذهب اليزيدى .

والشيء الذى تجب ملاحظته هنا هو أن معظم الذين كتبوا عن اليزيدية — وحتى العلامة تيمور — ذكروا أن الله جل شأنه بلى الشيخ عدى بن مسافر الأموى بمصيبة عظمى اذ زعم فيه اليزيديون أنه آله فاتخذوا قبره مقاماً . يحجون اليه ويعلون شأنه.

تاريخ اليزيدية ولغتهم

لم يزل تاريخ هذه اليزيدية رمزا مقفلا فى أوجه الباحثين والمؤرخين، وقد اختلفوا فيه اختلافهم فى أصل الطائفة . ولم نشأ أن نذكر شيئاً من تاريخهم خشية وقوعنا فى غلط بيّن . أما لغة القوم الرسمية فهى « اللغة الكردية » ثم تطرقت اليها « اللغة العربية » ، فدخلت كتبهم المقدسة وأصبحت لغتهم المألوفة الآن .

كتب اليزيدية المقدسة

لليزيدية كتابان مقدسان لاثالث لهما بخلاف ماروا ه الاستاذ عمر عنايت من أن القرآن العربى الكريم احد كتب اليزيدية المقدسة . وهذان الكتابان هما « الجلوة » و « مصحف رش » وموضوع الأول الزعم بأن الكتب الالهية المقدسة التى بأيدى اهل الكتاب ليست كما أنزلت من رب العباد بل حاصل فيها تحريف أو تبديل . وفيه أيضا مجمل ما خاطب به الرب جل شأنه الملة اليزيدية على زعمهم . اما الثانى فيتضمن حديث خلق السموات و الأرض و اختلاف اليل والنهار وخلقة الملائكة والبشر وكيفية نزول او ظهور عدى به مسافر . وما كان من نزول الشيطان وغير ذلك وقد وقفت على نسخة خطية فى كتاب « الجلوة » مأخوذ بالتصوير الشمسى ولا يزال فى خزانة فاضل من فضلاء بغداد والى القراء الكرام بعض فصوله المهمة :—

الفصل الأول

كنت موجوداً وأبقى الى النهاية متسلطاً على الخلائق و على تدبير مصالح الأمور، كل الذين تحت حكمى و يتقونى ويدعونى لوقت الحاجة ، يجدونى عندهم ، لايخلو

منى مكان وانى مدبر لكل زمان وذلك (كشورى) كل جيل يتقى رئيس هذا العالم حتى الرؤساء فى الملائكة . كل واحد منهم مردرد يكون تحت حكمى ووضعته يدى وانا أعطيه وأرخصه ليخلق بطبيعة المخلوقات ومن يقاومنى من الملوك يحترق بنار الندم . وليس لهم مداخلة فى تدبيرى والكتب الموجودة هى بيد خوارج ولو كانت كتب انبياء لأن هؤلاء الخوارج زاغوا وبدلوا كثيراً منها وصار كل واحد منهم يبطل الآخر ويضربون الحق بالباطل

الفصل الثانى

ارشدوا علم، والذين يتبعون تعليمى يجدون لذة وفرحاً بوقوفهم معى . واجازى المخالفين بانواع اعرفها . انى اطلعت على كل من فى الأرض وفوقها وتحتها ولا أفعل كعادات غير هؤلاء المخالفين ولا أمنع اضرارهم خصوصاً العاصين لأطاعتى واسلم شغلى الى الذين جربتهم . اهدى لهم من عطائى وحسب ارادتى واطريهم بنوع من الانواع وشكل من الاشكال . اولئك الذين هم امتى وتحت شوارى . اغنى وافقر واسعد واشقى حسب الظروف والأحوال اجلب الأوجاع والاسقام على الذين يقاومونى وانى لااسمح لاحد بأن يكره فى هذا العالم اكثر من الزمان المحدود من قبلى واذا اردت ان ارسله مرة ثانية وثالثة او عزله بأن يتناسل بتناسخ الأرواح .

الفصل الثالث

أرشد بلا كتاب واهدى غيباً احبائى وخواصى بتعليمى . كل وقت موافق للوقت انى اخاصم الذين يخالفون شرائعى فى عالم الآخرة . بنوا آدم لا يعرفون الأحوال المزعجة لذلك يسقطون فى اوقات كثيرة بغلط حيوانات البر وطيور الفضاء وسمك الماء كلها بيدى وتحت ضبطى . الخزائن والدفائن تحت قلب الارض كلها معلومة لدى . اظهر معجزاتى وعجائبى للذين يقبلونها ويطلبونها منى بوقتها ولأتباعى هى نور لأنهم لا يعرفون ماالعظمة . الزيادات والعنايات بيدى اختار من يليق لها من بنى آدم فى آخر العوالم وانقلاب الأجيال .

الفصل الرابع

حقوقى ما اعطيها لغيرى . الأربعة عناصر ، والاربعة ازمنة ، والأربعة اركان سمحت بها لأجل ضروريات . المخلوقين، الذين يحفظون اسرارى ينالون مواعيدى .

جميع الذين يتحملون المصائب بسببي لابد أن اكافئهم في هذا العالم . اريد ان يتجدد رباط كل واحد تابع لي لأجل مضارة الاجنبي لهم . ذلك الاجنبي الذي لا يفهم وصاياي وانكر أقوال كل تعليم منزل من عندي ولايذكر اسمي واوصافي ومدائحي

(ملحوظة) هذه اهم فصول كتاب «الجلوه» ومن هذه الفصول يستطيع القارىء ان يلم ولو بشيء زهيد من تعليم وديانة الطائفة اليزيدية حسب ما اعتقد .

زعماء اليزيدية

لليزيدية — كما لبقية الطوائف والملل — مشايخ ولكل منهم محبون ومريدون ومرجع الطائف كلها أمير يدعى « مير شيخان » وهو اليوم سعيد بك بن علي بك ابن حسين بك ولهذا الأمير سلطة مطلقة على رعاياه فهم يمتثلون أمره ويتلقون تعاليمه بصدور رحبة . وهو الذي يشرع لهم الشرائع ويسن السنن ويفصل في القضايا المبهمة ويقولون في أصله أنه وكيل « الشيخ عدي » وله علينا حق الطاعة . ويلي الأمير في الدرجة الـ (فقير) وهو نائب الأمير وتبلغ رسالاته للناس بواسطة الرؤساء الذين يلونه في الدرجة ومن وظائفه جمع البنين والبنات لتدريبهم على ضرب الدفوف وتعليمهم الرقص وله وظيفة خاصة أيضاً في خدمة قبر الشيخ عدي .

ثم يلي الـ (فقير) في الدرجة (كوجك) ومن خلائقه مكاشفة الأرواح وتكفين الأموات وتلقينهم . ثم الـ (بير) واليه يودع أمر ترتيب الصوم والافطار ثم الـ (الشيخ) وهو خادم تربة الشيخ عدي ويشترط فيه ان يكون من سلالة أمامهم حسن البصري (؟) وله زنار (شارة) يضعه على صدره وعصا مخصوصة يمسكها بيده فاذا رآه جماعته خروا له ساجدين . ويلي الـ (شيخ) الـ (قوال) بتشديد الواو ووظائف القوالين خدمة الدفوف ومدح الالهة والملائكة

والغريب في هذا المقام هو ان هذه المراتب محصورة في عائلات مخصوصة يتقلدها فيها السلف عن الخلف . ولا يجوز لهؤلاء الرؤساء أو المشايخ أن يتقلدوا وظائف غيرهم مهما سمت معارفهم ورقت مداركهم فتأمل .

سناجق اليزيدية

وللبزيدية سناجق « أعلام » سبعة يقولون فى أصلها انها سناجق الملائكة الذين اشتركوا فى تكوين هذا العالم وعددهم سبعة . فاذا جاء يوم الأربعاء الأول من شهر نيسان من كل سنة ، حملوا هذه السناجق إلى مقام الشيخ عدي تحف بهم الطبول والزمور وهناك يرقصون ويلعبون وتباح لهم انواع المغازلات على أن لا يؤدى ذلك إلى مواقعة أو مجامعة فاذا عادوا إلى منازلهم ، حملوا قليلا من تراب الشيخ حيث يعملون أقراصاً للتبرك بها . وهم يشترطون فى هذه الزيارة أن لا يتكلف أى أحد بعمل أكل له . لأنهم يأكلون كلهم على مائدة واحدة لينفق عليها فى عقارات الشيخ عدى ويعتقدون بأن جميع الخطايا والذنوب تغفر فى هذا اليوم الميمون عندهم

وفى يومى الخميس والجمعة اللذين يليان عيد رأس السنة يجتمعون للرقص فى قرية (بعشيقا) فى مقام لسجونه الشيخ محمد (؟) وفى الجمعة الثانية فى الشهر نفسه يجتمعون لهذه الغاية فى قرية تسمى (دراويش) عند قبر حسن الفردوس (؟) وفى الجمعة الثالثة عند قبر الشيخ أبى بكر (؟) القريب فى قرية (بحزانى) . ولهم عدا ما تقدم مواسم مخصوصة يزورون فيها موتاهم

طقوس اليزيدية

لليزيدية طقوس غريبة تضاربت فيها الأقوال . وفيما يلى بعض ما جمعته منها ما وقعت عليه بنفسى ومنها ما نقلته عن الكتاب والمؤلفين ولست ممن يضمن صحة أو نقد ما يلى :—

الصوم : — فالصوم عندهم ثلاثة أيام متوالية فى شهر كانون الأول كل سنة . وهم يقولون ان الحكم النازل بحقه جاء باللغة الفارسية بهما لم يفسره المسلمون طبق مراده . فهو (سه روز) أى ثلاثة أيام، لا (سى روز) أى ثلاثين يوماً كما هو عند المسلمين

الصلاة : — ولهم صلاة يومية يؤديها اليزيدى ساجداً لشروق الشمس صباح كل يوم . وما عدا ذلك فلهم دعاء خاص يتلونه صباح كل أربعاء وجمعة من كل أسبوع وفى كليهما من الخبط والخلط ما فيهما .

الموت : — تعتقد اليزيدية بتناسخ الأرواح كما جاء فى الفصل الثانى من كتابهم (الجلوة) فاذامات أحدهم ، وجب إحضار أحد شيوخهم لتلقينه ثم يحملون الجثمان إلى مرقده الأخير تحف بهم الطبول والزمور . و بعد أن يقبروا الجثة تذهب النساء فى كل يوم من أيام المناحة الأولى (وهى ثلاثة أيام) إلى قبر الفقيد فيلطمن عليه و يبكين كثيراً فاذا اسدل الليل ستاره، و ضعن الأكل و الشرب على القبر اعتقاداً منهن بأن الفقيد يحتاج اليه ولكن الكواسر و الطيور تأتى اليه . فتأكله

الزواج : — يشترط فى الزواج عند اليزيدية أن تحصل مواهقة مبدئية بين الزوج والزوجة على الزواج فاذا تم ذلك تداخل الابوان فى المذاكرة على أساس الصداق الذى يشترطون فيه أن يكون قطعاً من النقود الفضية . فاذا رفض أحد الابوين التزويج أخذت الفتاة زوجها و هربت به ثم يتدخل العقلاء من الأهل فى الامر فيعودان عريسين مباركين . أما إذا لم تحصل مضادة من أحد الأبوين — وهى أحيانا كذلك — جيء برغيف خبز من دار أحد الرؤساء فيتقاسمه العروسان . فان لم يوجد اكتفيا بسف قليل من تراب الشيخ عدى

الطلاق : — والطلاق من الاموز المباحة عند اليزيدية وكذا تعدد الزوجات ولكن لايجوز لا الزواج ولا الطلاق فى بدء سنتهم الجديدة «أول نيسان روبى» وليس للبنت إرث عند أبيها بعد أن يكون قد زوجها لأنه بتزويجه إياها يكون قد باعها بيعاً فاذا امتنعت عن ذلك و جب عليها خدمة و الدها حتى مماته

مهزلة : — ولايجوز لابناء الشيوخ أن يتزوجوا بغير بنات الشيوخ كما لا يجوز للعامة أن يتزوجوا ببنات الشيوخ بل يرون أنفسهم طبقات متفاوتة يجب على كل أحد أن يتزوج من طبقته

الثقافة : — وتثقيف النسل حرام على اليزيدى وانك لاتستطيع أن تجد فى كل قرية من قرى اليزيدية أكثر من شخص واحد يحسن القراءة والكتابة ليقوم بحاجة السكان ولعل سهر الرؤساء على مصالحهم الخصوصية يمنعهم من تثقيف أبناء الأمة حذراً من اطلاع الأفراد على حقائق الأديان والمذاهب إطلاعا قد يفضى إلى نبذ المذهب

الغسل : — والأغرب من ذلك أنك لاتستطيع أن تشاهد بين أفراد هذه الطائفة

من يغسل وجهه فى الصباح لأنهم يغتسلون إغتسالا دينياً فقط عندما يحجون إلى مزاراتهم المقدسة لديهم . وهم لا يقصدون بهذا الاغتسال النظافة البدنية مطلقاً

عادات وطقوس أخرى

جد العثمانيون فى إفناء الطائفة اليزيدية كثيراً و استعملوا معهم من الاضطهادات الكثيرة مما تشيب لها رؤوس الأطفال وقد ذكر بعض المستشرقين ومنهم المستر لايارد الانجليزى أن ثلاثة أرباع اليزيدية قتلوا بنتيجة الاضطهادات . وقد حاولت الحكومة العثمانية أن تجند أفرادهم عندما دخلت فى حرب ضروس مع الروس عام ١٣١١ هـ ولكن موانع مشروعة رفعها رؤساء الطائفة إلى السلطات المختصة خلصتهم من شر الحروب ور بما يكون فى ذكر بعض محتويات هذه اللائحة فائدة مع فهم قليل ذكر وا أنه

١ — يجب على اليزيدى أن يزور الطاووس ملك ثلاثة مرات فى كل عام ٢ — وأن يزور قبر الامام الشيخ عدى خلال ١٥ إلى ٢٠ إيلول فى كل سنة . ٣ — وأن يزور الموضع الذى تشرق عليه الشمس صباح كل يوم دون أن يراه أحداً . ٤ — وأن يقبل يد أكبر رئيس يقرب منه فى كل يوم . ٥ — وأن لا يسمع صلاة المسلم . ٦ — وأن يأكل على مائدة مخصوصة تسمى (دكان الشيخ) فى كل يوم . ٧ — وأنه إذا مات وجب إحضار أحد رؤسائه لتلقينه وتكفير خطاياه . ٨ — وان يثبت صيامه أمام رئيس له فى كل يوم فى أيام الصيام المخصوصة . ٩ — وأنه إذا تغرب عن بلده سنة كاملة حرمت عليه زوجته ١٠ — وأن لا يكتحل بمرود ولا يمشط رأسه بمشط مسلم . ١١ — ولا يدخل مرحاضا ولا حماما ١٢ — ولا يأكل جملة من الخضرات . وقد قبل ولاة الأمور هذه المعاذير المشروعة بعد أن تأكدوا ان من يخالف شرطا من هذه الشروط يكفر وأن يحل قتله عندهم

عبادة اليزيدية للشيطان

ينظر اليزيدى الى الشيطان كعامل عظيم فى خلقة الكائنات بالاشتراك مع الله جل شأنه وانه ملاك قديم ساقط اعيد بعد سقوط و يعتقد انه خالق الشر ومسببه ولهذا السبب فهم يتحاشون ذكره و يمثلون بالطاووس — احدى الطيور — وهذا الطاووس هو القوة العلياء عندهم بل هو جوهر عقائدهم . وعبادتهم له عبادة

تضرع وتعطف لا عبادة شكر وامتنان . وهم يحترمونه ويقدسونه لاحبا به بل خشية من غضبه . ولهذا فهم يتحاشون كثيراً ذكره ويتجنبون التلفظ بالكلمات التى لها شبه بلفظته او بحرف من حروفه فتجدهم لا يقولون (الشط ولا البط ولا الحيطان ولا السرطان او البستان) لان هذه الفاظ تقرب من لفظة (الشيطان) كذلك تراهم يتجنبون التلفظ بالكلمات القريبة الاشتقاق فى لفظة (لعن) للسبب نفسه

وتقول اليزيدية فى اصل الشيطان (الممثل بالطاووس) ان رب العالمين غضب يوما على « الطاووس ملك » ونفاه من الجنة وهو اليوم خارج عنها . ولكن فى آخر يوم الدين يتصالح معه رب العالمين فيرجع الى عليين على ما كان عليه فى بدء خلق الأرض ماشياً على صراط الحق المبين ومن حوله جماعة من الملائكة والاولياء القديسين يعظمون قدره ويمثلون امره .

شى من عقائدهم

يظهر للمتتبع المدقق أن ديانة اليزيدية مانوية المبدأ ومذهب — كما لايخفى — مزيج من الزرادشتيه والنصرانية. أما مذهب زرادشت الأصلى فمعناه القول بوجود آلهين « هرمزد » الله الخير .. « وأهريمان » آله الشر . والمانوية تفرض على معتنقيها تقديم العبادة للشمس والشيطان الذى هو مصدر الشرور كلها كما يذكر المذهب الزرادشتى

هذا ما أخذه اليزيديون من الزرادشتيه . أما ما أخذوه من النصرانية فالاعتقاد أن المسيح ملاك الجسد والايمان باليوم الآخر وختن الأطفال وتعميدهم (والتعميد عندهم صب الماء المقدس على الطفل لتطهيره من خضب الدم الأصلية) ولادخل للاسلام فى دياناتهم البتة بخلاف ماذكره الأستاذ عمر عنايت . وما يفعلونه الآن من التظاهر بالمظاهر الأسلامية انما يفعلونه تقية لمجاوريهم من المسلمين ، لاتديناً

أما اباحة الزنا عندهم فامر مبالغ فيه كل المبالغة نعم عند اليزيدية عادة استلفت الانظار فاستدل بها الباحثون على اباحة الزنا عندهم فهم يجمعون فى مواسم مخصوصة اياماً يقضونها فى محلات معلومة وهناك تباح لهم المغازلات والمجون على أن لايؤدى ذلك الى مواقعة ما . واذا حدثت المواقعة فيجب أن لاتكون على غير اليزيدى حذراً

من اختلاط دمهم بدم أجنبي. لأن اليزيدي ـ عندهم ـ يجب أن يخلق من « أم وأب » يزيديين

كلمة الختام

هذا ما أردت أن اثبته في هذه العجالة وربما حصل فيه ارتباك أو تشويه ولست ممن يدعي العصمة في ما اكتبه اذ العصمة لله وحده ولكن اقول ربما وجد القارئ الكريم في هذه الصفحات القليلة مالا نستطيع الوقوف عليه في المجلدات الضخمة واني مستعد لتنوير الأذهان مرة أخرى متى طلب الى ذلك

بغداد — السيد عبد الرازق الحسني

المصور — تعليق على المقال السابق

لسنا من المهتمين بأمر اليزيدية ولا بأمثالها من الفئات ، بل ونعتقد أن البحث في أصل مثل هذه الطوائف غير مجد علمياً ، وربما يكون لمثل هذا البحث بعض الخطر من الوجهة التأريخية الصرفة . غير أننا عند ما قرأت مقالة الاستاذ الحسني رجعت بالذاكرة إلى أشياء قرأتها حديثاً في كتاب سير أوستن هنري لايارد « استكشافات في نينوه وبابيلون » Discoveries in Nineveh and Babylon ـ قد تفرقت بين دفتي الكتاب ، ورأيت أن الرجوع إليها قد ينير سبيل البحث بعض الشيء في هذا الموضوع المستغلق

رجعت إلى الكتاب ـ على ضخامته ـ وتصفحت منه جزءاً غير قليل حتى استطعت أن أعثر على أشياء ذكرت في فصول منه ، وقد تناثرت تناثراً جعل العثور عليها صعباً غير هين . فمن الفصل الثالث إلى الرابع إلى التاسع ثم الحادي عشر ثم الخامس عشر في كل هذه الفصول ـ على استفاضتها وتخالط موضوعاتها وتشابك مباحثها ـ ، نجد أشياء عن اليزيدية . لهذا فضلت أن أرجع إلى كل فصل على حدة وأن أثبت ما يتيسر لي نقله منه لعلي أستطيع أن أضيف إلى هذا المبحث شيئاً جديداً .

الفصل الثالث

أولا ـ لا يجب علينا أن نغفل عن اصطلاح طالما ذكره السير لايارد فى كتابه . فقد رافق فى كثير من مواضع رحلته رجلا سماه دائماً (Cawal Yusuf) أى « الخول يوسف » ، ولا أدرى ماذا يقصد بهذا النعت الغريب . ولقد رجحت بادىء ذى بدء أنه صفعة لمولى أو خادم أو أحد الحشم فى حاشية ما غير أنى عثرت على جملة فى كتاب لايارد دلتنى على أن هذا النعت عند اليزيدية يدل على مركز كبير فى نظرهم من الوجهة الاجتماعية . فقد جاء فى ص ٤٧ من طبعة موري سنة ١٨٥٣ ما يلى

„The Cawals, who are sent yearly by Hussein Bey and Sheik Nasr to instruct the yazidis in their faith, and to collect the contributions forming the revenues of the great chief, and of the tomb of Sheik Adi, were now in Redwán.„

وترجمتها

« إن الخول ـ ولا أدرى كيف يتصرف الانسان فى جمعها ـ الذين يرسلهم حسين بك والشيخ نصر (وهما رؤساء اليزيدية فى عصر لايارد) ليعلموا أهل اليزيدية أمور دينهم وليجمعوا الاكتتابات التى يتكون منها دخل الرئيس الأعظم وقبر الشيخ عدى ـ كانوا حينذاك فى رودان »

من هنا استنتجت أن « الخول » هو معلم أو شيخ . أو كما يقول أهل الباطن تابع أو مريد . ولعل لهذه التسمية أصلا عند اليزيدية .

ثانياً — أن هؤلاء « الخول » لا يرسلون كل سنة فى نفس المكان الذى يرسلون اليه فى السنة التى قبلها . ذلك لأن اليزيدية تقسم البلاد التى تسكنها إلى أربع مناطق : الأولى ـ سنجار ـ والثانية ـ خرزان ـ والثالثة ـ باشوية حلب ـ والرابعة ـ قرى أرمينية وبعضها يدخل فى الحدود الروسية . أما يزيديو الموصل فيقومون « الخول » بينهم على الدوام

ثالثاً — أن « الخول » عندما يؤمون مكاناً ما يحملون معهم « الملك الطاووس » Melek Taous or brazen peacock ـ كعلامة على حقيقتهم وإجازة بمباشرة مهمتهم

رابعاً ـ أراد « لايارد » أن يرى « الملك الطاووس » ، ففاتح الخول يوسف فى

ذلك وان يسمح له منة بأن يرى هذا الشيء الغريب. فلم يتردد يوسف فى ذلك ، وكذلك بقية « الخول » والرؤساء ففى الصباح الباكر أدخل « لايارد » إلى حجرة مظلمة فى منزل « نازى » - Nazi - وظل هنيهة طويلة غير مستطيع أن يميز شيئاً فى ذلك الظلام . وإذا بخرقة حمراء اللون فوقها شبح كائن فى الحجرة فتقدم الخول نحوه بكل احترام وتقديس ، من انحناء وتقبيل لاطراف الخرقة المفروشة فى الحجرة وهنالك مسند كالمقاعد التى توضع فوقها الشمعدانات فى الموصل و بغداد ، فوقها شبح طائر غير حسن الصنعة، مصنوع من المعدن - وهو أشبه الاشياء بالأنصاب الهندية أو المكسيكية . منه بطاووس أو ديك . وتدل هيأته على أنه مصنوع منذ زمان بعيد . غير أنه عطل من الكتابة أو الحفر وأمام هذا الشبح إناء توضع فيه الاكتابات (الصدقات) وكيس يوضع فيه هذا الطير ومسنده (قائمه) إذ يحمل إلى قطع وأجزاء لدى نقله من مكان إلى مكان ولدى اليزيدية أربعة من هذه الطواويس يرسل واحد منها لكل منطقة من مناطقهم . ويفخر اليزيديون بأنه على الرغم من الاضطهاد الذى يلقونه وكثرة القتل والفتك بهم لم يقع طاووس من طواويسهم فى يد أحد من المسلمين . وقد روى الخول يوسف انه رأى فى احدى رحلاته الى سنجار كتيبة من فرسان العرب فى الصحراء . فدفن « الملك الطاووس » فى الرمل . وبعد ان تهب العرب أخرجه مرة أخرى وذهب به الى حيث شاء : ويذكر « لايارد » انهم لاينظرون الى هذا الشبح نظرة صنم معبود . ولكن يقدسونه كرمز أو راية يلتفون حولها .

خامساً — بات « لايارد » فى منزل « نازى » ولما أراد السفر ودعه ركب من من اليزيدية مسافة طويلة مبالغة فى احترامه . وهذه عادة من عادات العرب المعروفة

سادساً — يبالغ السير « لايارد » فيما لاقى من اليزيديين من الاكرام . فكأنهم فى ذلك على أخلاق أهل البادية .

سابعاً — يروى « لايارد » انه لدى نزوله ضيفاً على « عيد أغا » أحد زعماء اليزيدية هاجم العرب قبيلته فخرج لمحاربتهم وظل يحاربهم يومين كاملين تغلب بعدها العرب عليهم ولم يعلم ماذا حل بهم لانه ارتحل عن أرضهم قبل ان تتم هزيمتهم . وعندما ابتعد قليلا قابله حسين بك والشيخ نصر وكبار أهل اليزيدية على بعد أربعين ميلا

من محلتهم وقد حضروا لاستقباله والمبالغة فى اكرامه . وما زالوا يرافقونه حتى أخرجوه من منطقة الخطر العربى .

الفصل الرابع

أولا — يقول لايارد إن من سماه الشيخ نصر هو كاهن اليزيدية الأكبر فى زمانه

ثانياً — يقول لايارد :

« لم أكد أستقر فى المدينة حتى حضر « الخول » يوسف وغيره من « خول » اليزيدية ليدعونى عن حسين بك والشيخ نصر لأزور الشيخ عدى وأحضر المولد السنوى . وقد صحبنى فى هذه الزيارة كل حملتى ومعهم مستر « راسام » وكيل القنصل وترجمانه . فركبنا أول يوم الى « بدرى » وقابلنا على الطريق حسين بك ومعه جملة كبيرة من خيالة اليزيدية . أما الشيخ نصر فكان قد ذهب الى القبر ليهيىء أمر المولد والاحتفال به . وبتنا تلك الليلة فى منزل الرئيس الصغير (حسين بك) وفى اليوم التالى ركبنا بعد بزوغ الشمس بساعة ميممين شطر الشيخ عدى . وقبل ان نصل الوادى المقدس قابلنا الشيخ نصر و « برسينو » — Pir Sino — والخول والكهنة ورؤساء الدين) والزعماء . والف من حولنا « الخول » وحيونا عازفين على الطنابير والمزامير وقامت من حول مجلسنا حفلة « يزيدية » كاملة البهاء وصفتها من قبل فى رحلتى السابقة « وكان عدد اليزيديين قليلا هذه المرة عما كانوا فى المرة الأولى . لأن الكثيرين منهم لم يقووا على مواجهة خطر الطريق وتعرض البدو لسلبهم . »

ثم يصف بعد ذلك حفلة اشبه بحفلات الذكر التى يقيمها اصحاب الطرق قياماً راقصين وبعد أن يهدأ الجميع وتنتهى حفلة (الذكر) يبدأ (الملاوات) بترتيل اشياء فيها تاريخ وذكر لأعمال شخص من قديسيهم يدعى (مرزا محمد)

ثالثاً — وعد الخول يوسف أن يطلع السيد « لايارد » على كتب اليزيدية المقدسة فأحضر له مجلداً ذات صباح مستصحبا معه سكرتير الشيخ نصر ، وهو اليزيدى الوحيد ، على ما وصل الى علم لايارد ، الذى يستطيع أن يقرأ الكتاب وهو يتكون من بضعة ورقات فيها اشعار تردد صفات الشيخ عدى وخصائصه ، وهو يشاطر عندهم

الخالق نفسه باعتباره الاصل فى خلق الاشياء كلها . على انه فوق ذلك يختلف عن ، ماهية اللاانهائى ، . ذلك لأنهم يعتقدون أن الشيخ عدى صلة فقط توصل الى البحث عما وراء الحقيقة ، وانه من طريق هذا البحث يستطيع ان يصل الى اعلى الدرجات وهي درجات فى مستطاع كل انسان أن يصل إليها اذا شغف شغفاً حقيقياً بالوصول الى الحقيقة ومعرفتها، وقد ذكر لايارد قصيدة يزيدية يتضح منها بعض مبادئهم ننقلها هنا بنصها الأصلى لعل احد الشعراء يعنى بأن يترجمها شعرا الى العربية : قال

The Recitation (or Poem) of Sheik Adi — peace be upon him.

1. My understanding surrounds the truth of things,
2. And my truth is mixed up in me.
3. And the truth of my descent is set forth by itself;
4. And when it was known it was altogether in me.
5. All who are in the universe are under me,
6. And all the habitable parts and the desert,
7. And every thing created is under me.
8. And I am the ruling power preceding all that exists.
9. And I am he who spake a true saying.
10. And I am the just judge, and the ruler of the earth (Bat'ha)
11. And I am he whom men worship in my glory,
12. Coming to me and kissing my feet.
13. And I am he who spread over the heavens their height.
14. And I am he who cried in the beginning (or in the wilderness al bidae]
15. And I am the Sheik, the one and only one.
16. And I am he who of myself revealeth all things.
17. And I am he to whom came the book of glad tidings,
18. From my Lord who burneth (or cleaveth) the mountains.
19. And I am he to whom all created men come,
20. In obedience to kiss my feet
21. I bring forth fruit from the first juice of early youth,

22. By my presence, and turn towards me my disciples.

(ويترجم العلامة بدجر، السطرين الاخيرين بما يأتى)

[a] I am the mouth, the moisture of whose spittle
[b] Is as honey, wherewith I constitute my confidants.

23. And before his light the darkness of the morning cleared away
24. I guide him who asketh for guidance.
25. And I am he that caused Adam to dwell in paradise,
26. And Nimrod to inhabit a hot burning [or hell] fire.
27. And I am he who guided Ahmed the Just'
28. And led him into my path and way.
29. And I am he unto whom all creatures
30. Come unto for my good purposes and gifts.
31. And I am he who visited all the heights [or, who hath all majesty]
32. And goodness and charity proceed from my mercy.
33. And I am he who made all hearts to fear
34. My purpose, and they magnified the power and majesty of my awfulness.
35. And I am he to whom the destroying lion came,
36 Raging, and I shouted against him and he became stone.
37. And I am he to whom the serpent came,
38. And by my will I made him dust.
39 And I am he who struck the rock and made it tremble,
40. And made to burst from its side the sweetest of waters.
41. And I am he who sent down the certain earth.
42. From me is the book that comforteth the oppressed.
43. And I am he who judged justly;
44. And when I judged it was my sight
45. And I am he who made the springs to give water,
55, Sweeter and pleasanter than all waters
47. And I am he that caused it to appar in my mercy.
48 And by my power I called it the pure (or the white).

49. And I am he to whom the Lord of Heaven hath said,
50, Thou art the Just Judge, and the ruler of the earth(Bat' hai)
51 And I am he who disclosed some of my wonders.
52. And some of my virtues are manifest in that which exists,
53. And I am he who caused the mountains to bow,
34. To move under me, and at my will.
55. And I am he before whose awful majesty the wild beasts cried,
56. They turned to me worshipping, and kissed my feet.
57. And I am Adi Es-shami(or, of Damascus) the son of Moosafir.
58. Verily the All-Merciful has assigned unto me names,
59. The heavenly throne, and the seat, and the seven (heavens) and the earth.
60. In the secret of my knowledge there is no God but one.
61. These things are subservient to my power.
62. And for which state do you deny my guidance.
93. Oh men! deny me not, but submit;
64. In the day of judgment you will be happy in meeting me.
65. Who dies in my love I will cast him
66. In the midst of Paradise by my will and pleasure:
67. But he who dies unmindful of me,
68. Will be thrown into torture in misery and affliction.
69. I say that I am the only one and the exalted;
70. I create and make rich those whom I will
71. Praise be to myself, and all things are by my will.
72. And the universe is lighted by some of my gifts.
73. I am the King who magnifies himself;
74. And all the riches of creation are at my bidding.
75. I have made known unto you, O people, some of my ways,
76. Who desireth me must forsake the world.
77. And I can also speak the true saying
78. And the garden on high is for those who do my pleasure.
79. I sought the truth, and became the confirming truth;

80. and by the like truth shall they possess the highest place like me.

* * *

أما بقية ما جاء من الفصول الأخرى فوصف لحفلة زواج وذكر لاختلاط الكاتب ببعض اليزيديين لا يخلو من فائدة . ولقد اتينا هنا على ذكر ما يهم القراء فلعل فيه فائدة تجنى .

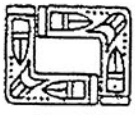

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

ومقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر